

# سياسة العودة من الأردن إلى سورية

جوليا موريس

أصبح الاستعداد لعودة اللاجئين السوريين مسألة بارزةً في الأردن، غير أن احتمال وقوع العودة يثير من المخاوف الكثير.

لا بل فعلت عكس ذلك، فعلى الرغم من إعادة فتح المعبر الحدودي بين نصيب وجابر في شهر أكتوبر/تشرين الأول عام ٢٠١٨، أعلنت الحكومة الأردنية أنها لا تدعم عودة السوريين في الوقت الحاضر<sup>١</sup>. لكن لما لم تُبتدأ برامج عودة رسمية بين البلدين، أصبح الاستعداد للعودة مسألة بارزةً في الأردن<sup>٢</sup>.

## معوّقات العودة من الأردن

يختلف أمر الأردن في زيارات 'الاطلاع على ما يجري' عن غيره من البلاد التي يعود منها اللاجئون السوريون، فهذه الزيارات عند اللاجئين السوريين في الأردن غير ممكنة. ففي حالة الأردن، ليس للمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين بنية تحتية، ولا ترتيبات بينها وبين الحكومتين السورية والأردنية، لكي تُيسر هذه الزيارات. وقد حافظت الحكومة الأردنية على علاقات دبلوماسية ظاهرية مع

يعيش اليوم في الأردن نحو ٤٠٠ ألف لاجئ سوري، ثلاثة أرباع منهم، على حسب المنظمات غير الحكومية، ينوون العودة إلى سورية في وقت ما في المستقبل. وينبغي أن تقوم العودة إلى البلد الأصلي على حرية القرار، وعلى صدور القرار عن علم، مع التزام تام من البلد الأصلي بإعادة الإدماج. ولكن يواجه السوريون الذين ينوون العودة احتمال العودة إلى نظام سلطوي ليس له اهتمام يُذكر في دعم إعادة إدماجهم. هذا فضلاً على صعوبة ضمان أي قدر من الأمن للاجئين العائدين، وذلك بسبب استمرار النزاع الشديد في سورية.

ومنذ بداية النزاع تقع حالات عودة عفوية كثيرة العدد. ولكن لم تتخذ الحكومة الأردنية والهيئات التي تتبعها إلى الآن أية تدابير لتيسير عودة طوعية، رسمية، واسعة النطاق.

سورية، ولكن ليس إلى حدٍ تُرتَّب فيه معها زيارات الاطلاع على ما يجري. ثم إن فكرة الزيارة للاطلاع على ما يجري من أولها مشكوك فيها، فانعدام الأمن داخل سورية مستمر، ثم هل سيستطيع اللاجئين، في الواقع، المضي في هذه الزيارة ثم الرجوع من بعد؟

### ثقافة التَّوْهَانِ

وفي ظلَّ القانون السوري، تجب الخدمة العسكرية على الرجال السوريِّين الذين تقع سنهم بين ١٨ و٤٢، أو يواجهون خطر الجَبْس أو التجنيد القسري. وأكثر المجندين في سورية يخدمون في الجيش منذ بداية النزاع، إلى أجل غير مُعيَّن، وأصبحت الكُنُسات التي تشنُّها السلطات على الأحياء والمنازل بحثاً عن المجندين المطلوبين وأفراد الاحتياط شائعة. ويستعمل نظام الأسد أيضاً وسائل الإعلام الحكومية ورجال الدين للترويج لصورة الذين يخدمون في جيشه وأسرهم على أنهم أهل الشرف، وأمَّا الفارُّون من الخدمة فيصهفهم من الصفات ما يذمُّهم. وأمراً آخر يشبه ذلك، وهو إظهار السوريِّين الذين تركوا البلد في أثناء النزاع في صورة سيئة، ويخشى كثيرٌ منهم الأعمال الانتقامية، بسبب الجبن المزعوم أو عدم تأييد النظام.

ومنذ بدء النزاع، أصبح الاغتصاب والعنف الجنسي وسيلتين فاشيتين يستعملهما نظام الأسد وفضائل المتمردين. ولقد وقع العنف الجنسي في النزاع السوري على النساء والرجال على السواء. فصحيح أن أكثر العنف الجنسي واقع على النساء والفتيات، ولكن كشف أدلة عظيمة الشأن على استعمال العنف الجنسي استعمالاً منظماً في تعذيب الرجال والفتيان، ولا سيما في مراكز الاحتجاز السورية.<sup>٢</sup> وعند النساء والرجال في سورية، يخفى العنف الجنسي غالباً، وجزء من السبب في ذلك هو الوصمة الاجتماعية الشديدة في الحديث الصريح العلني عن ذلك، وهذا من ثم يجعل من أمر المساءلة ملتبساً. ففي حالات أخرى، بعد انتهاء النزاع، سُلكت سُبُل العدالة التصالحية لمحاسبة مرتكبي العنف الجنسي، وللترويج للمصالحة الطويلة الأمد. فإن كانت إستراتيجيات المساءلة والمصالحة ستطبَّق في سورية، فعلى من سيطبِّقها مراعاة ما تقدَّم من عوامل.

ويواجه اللاجئون المثلثيون والمثليات ومزدوجو الميل الجنسي ومغايرو الجندر وأحرار الهوية والميول الجنسية وحاملو صفات الجنسين (إل جي بي تي أي كيو+) معوقات معينة في الطريق إلى العودة. فقد عانى كثيرٌ منهم من الاضطهاد داخل سورية وخارجها ما هو أشدُّ من الذي عانوه قبل النزاع. فالقانون السوري ينص على عقاب من يمارس أنشطة

المثلية الجنسية في حكم جَبْس قد يصل إلى مدة ثلاث سنوات. وكثيراً ما يعاني لاجئو (إل جي بي تي أي كيو+) صعوبة أشد من غيرهم في إيجاد الوظائف وفي الوصول إلى الشبكات الاجتماعية، في مناطقهم الأصلية وخارجها، وهذان أمران إن بُسرا، فسيعدمان إعادة إدماجهم المستدامة أو عودتهم المستدامة. والأردن بلد أكثر لبرائية بالقياس إلى غيره، ولكن ما يزال لاجئو (إل جي بي تي أي كيو+) فيه يواجهون مخاطرَ حياتية، وتمييزاً، وسوء معاملة؛ فلا بد من فهم هذه الأحوال عند التخطيط لإستراتيجيات العودة الطوعية، هذا إن كانت العودة حلاً دائماً.

فأشبهت يستعملهما نظام الأسد وفضائل المتمردين. ولقد وقع العنف الجنسي في النزاع السوري على النساء والرجال على السواء. فصحيح أن أكثر العنف الجنسي واقع على النساء والفتيات، ولكن كشف أدلة عظيمة الشأن على استعمال العنف الجنسي استعمالاً منظماً في تعذيب الرجال والفتيان، ولا سيما في مراكز الاحتجاز السورية.<sup>٢</sup> وعند النساء والرجال في سورية، يخفى العنف الجنسي غالباً، وجزء من السبب في ذلك هو الوصمة الاجتماعية الشديدة في الحديث الصريح العلني عن ذلك، وهذا من ثم يجعل من أمر المساءلة ملتبساً. ففي حالات أخرى، بعد انتهاء النزاع، سُلكت سُبُل العدالة التصالحية لمحاسبة مرتكبي العنف الجنسي، وللترويج للمصالحة الطويلة الأمد. فإن كانت إستراتيجيات المساءلة والمصالحة ستطبَّق في سورية، فعلى من سيطبِّقها مراعاة ما تقدَّم من عوامل.

فأنشأت هذه الظروف التي تسودها الفوضى، والتغيُّرات السياسية المتكررة، والأخبار غير الصادقة السائرة بين الناس من طريق وسائط التواصل الاجتماعي، كل هذا،

أنشأ من القلق والخبرة ما هو عظيم. وهذا مجال من المجالات التي ركزت المنظمات الإنسانية جهودها فيه، فهي تعمل على رصد أحوال العائدين، وعلى رتق الخروق في المعلومات، وعلى الدعوة إلى حض نظام الأسد على مراعاة هذه الهوموم. وتعمل لجنة الإنقاذ الدولية، مثلاً، على تنمية مهارات موظفيها في الاستماع الاجتماعي وفي رصد ما يجري في قنوات وسائط التواصل الاجتماعي وإدارتها، وذلك لتحديد الأخبار غير الصادقة، ولدعم التواصل المجدي بين اللاجئين الذين ينوون العودة.

وفي الوقت نفسه، تواجه المنظمات الإنسانية تحديات في تنفيذ حالات العودة الطوعية الرسمية. إذ تنشط في سورية

وما دام التساؤل يدور حول العودة الآمنة، لا ينبغي للبلاد المضيفة أن تتيح عوامل دفع لتحفيز عودة اللاجئين، ولكن ينبغي أن تستمر في نماذج اندماج محلي، من مثل الاندماج المحلي بتسيير الوصول إلى التعليم والتوظيف والتدريب. ولقد فتح سبيل إلى الشك في القطاعات التي يتوظف فيها السوريون، وكان ذلك جزءاً من النقد الشديد الذي أصاب ميثاق الأردن. إذ لم يُدرج ميثاق الأردن منها لا غنى عنها، كالطب والتعليم والهندسة، بين القطاعات التي يستطيع السوريون العمل فيها، وبذلك منع الميثاق السوريين من اكتساب الخبرة في هذه المهنة، التي لها شأن عظيم في إعادة بناء سورية. وأما المنظمات غير الحكومية المحلية والدولية، فإن عملها في إتاحة أماكن للتعليم الجامعي، والتدريب المهني، لشباب اللاجئين السوريين لثبتي الإعجاب، وقد أقام اللاجئون السوريون كثيراً من الأعمال المبتكرة في الأردن. ومثال ذلك، أن صاحبة عمل سورية تدعم أكثر من ١٠٠ امرأة سورية بعقود عمل لينة شروطها (كأن تعمل بعضهن من منازلهن) في إنتاج الصابون والمنسوجات من خلال جمعية لاجئات تعاونية، فتبعن المنتجات من طريق الإنترنت ووسائط التواصل الاجتماعي. على أن كثيراً من اللاجئين السوريين، يجدون تنقلهم مقيداً، ومجال ما يطمحون إليه في التوظيف ضئيلاً.

هذا، وفي حُسن ترحيب البلاد المضيفة باللاجئين مصلحة للجميع. فقبل كل شيء، يجب الاستماع إلى أصوات اللاجئين، إن أريد لمشروعي العودة والاندماج أن ينجحاً. وأما السياسة التقييدية، المعقدة اعتباراً، التي تبغض الأجانب، والتي تحد من تنقل اللاجئين ومن فرص وصولهم إلى العمل والخدمات الأساسية، فقد تدفع اللاجئين إلى العودة التلقائية إلى بلد غير آمن. وإن ضمن للاجئين أن يستطيعوا العودة إلى بلدهم المضيف عودة آمنة، أو الانتقال إلى بلد

في الوقت نفسه، تواجه المنظمات الإنسانية تحديات في تنفيذ حالات العودة الطوعية الرسمية. إذ تنشط في سورية هيئات الأمم المتحدة وبعض الجهات الفاعلة من المجتمع المدني، ولكن على الرغم من أن الحدود مفتوحة، لا يُسمح بأي عمل حتمي عابر للحدود اليوم تقوم به المنظمات، التي تتيح إقامة الخدمات قبل الحاجة إليها، للاجئين السوريين في الأردن. والذي سيحدث غالباً أن العاملين في المجال الإنساني سيفاوضون الجهات الفاعلة في القطاع الخاص عند نظام الأسد وروسيا في تسيير دعم عودة اللاجئين إلى بلدهم.

سياسة العودة 'الطوعية'

ورد على الحكومة الأردنية من عند الاتحاد الأوروبي من المعونة المالية ما هو عظيم، منذ بدء التهجير الشامل إلى الأردن. ولقد قال العاملون في المجال الإنساني الذين تحدث إليهم إن سبب امتناع المسؤولين الأردنيين عن المفاوضة العامة على إدخال مشروع للعودة في سياسة الحكومة هو، جزئياً، ناجم عن أن هذه المعونة المالية مرتبطة باندماج اللاجئين في الأردن، فإن توقف الاندماج توقفت المعونة. ومع ذلك، ومع استمرار النزاع، واجه الأردن سأم المانحين، وهبوط الاستثمارات الدولية. ومع احتمالات الخطر هذه، يتساءل كثير من العاملين في المجال الإنساني، أيهما حقاً أن تنظر الحكومة الأردنية قريباً في الحض على العودة أم لا؟

### سياسة العودة 'الطوعية'

ذلك، وحال لبنان كحال غيرها من الدول المضيفة الرئيسية في المنطقة، فقد اتخذ إجراءات مريية لإنجاح عودة السوريين إلى سورية. إذ انتشرت في البلد لوحات إعلانية نقالة توضح الخدمات اللوجستية في العودة إلى سورية وفوائدها، في محاولة لحث اللاجئين على العودة. ولكن الاضطهاد المنتشر عموماً هناك، الواقع على اللاجئين، إنما يجعل استدامة سبل المعيشة الكريمة إلى المستحيل أقرب. وفي ظل هذه الظروف، يصعب أن يُقام لفكرة

ذلك، وحال لبنان كحال غيرها من الدول المضيفة الرئيسية في المنطقة، فقد اتخذ إجراءات مريية لإنجاح عودة السوريين إلى سورية. إذ انتشرت في البلد لوحات إعلانية نقالة توضح الخدمات اللوجستية في العودة إلى سورية وفوائدها، في محاولة لحث اللاجئين على العودة. ولكن الاضطهاد المنتشر عموماً هناك، الواقع على اللاجئين، إنما يجعل استدامة سبل المعيشة الكريمة إلى المستحيل أقرب. وفي ظل هذه الظروف، يصعب أن يُقام لفكرة

[www.fmreview.org/ar/return](http://www.fmreview.org/ar/return)

أكتوبر/تشرين أول ٢٠١٩

٢. هذا بناءً على عمل ميدانيّ قائم على علم وصف الأعراف البشرية، جرى بين شهريّ فبراير/شباط ومارس/أذار من عام ٢٠١٩ في الأردن، مع لاجئين سوريّين ومواطنين أردنيين ومنظمات دولية غير حكومية.

Morris J (forthcoming) 'Manufacturing Landscapes: The Politics and Practices of the Jordan Refugee Compact', *Refugee* (صناعة الأوضاع: سياسة ميثاق الأردن في اللاجئين وما درج عليه)

٣. Chynoweth S (2017) "We Keep it in Our Heart" – *Sexual Violence Against Men and Boys in the Syria Crisis*, UNHCR ("مكتومة في قلوبنا" - العنف الجنسي على الرجال والأولاد في الأزمة السورية) [www.refworld.org/docid/5a128e814.html](http://www.refworld.org/docid/5a128e814.html)

٤. UNHCR (2017) *Building Capacity for Protection of LGBTI Persons of Concern – Jordan* (بناء القدرة على حماية المثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري الجندر وحاملي صفات الجنسين في الأردن) [www.refworld.org/docid/5a38dfe64.html](http://www.refworld.org/docid/5a38dfe64.html)

آخر، إن هم اختاروا ذلك، فلقد يزداد عدد المشاركين في العودة المستدامة والطوعيّة، وفي التأسيس لمستقبل سورية.

جوليا موريس [morrisjc@uncw.edu](mailto:morrisjc@uncw.edu)

بروفيسورة مساعدة في تخصّص الدراسات الدولية، بجامعة نورث كارولينا في ويلمنغتون

<https://uncw.edu/int/morrisj.html>

١. Al-Khalidi S 'Jordan's PM appeals for more aid as most Syrian refugees set to stay,' Reuters, 20 February 2019

(الأردن يطلب مزيداً من الدعم مع اعتزام أغلب اللاجئين السوريين البقاء) <https://af.reuters.com/article/worldNews/idAFKCN1Q9290>